# الفصل الثالث
# الإمالة والفتح

## المبحث الأول : الإمالة

### أولا : تعريفها وأنواعها وأصحابها

**١ - تعريفها :**

قدّمنا الإمالة هنا على الفتح للأهمية التي حظيت بها في بابها عند القراء على الرغم من أن الفتح أصل في الكلام، وهي فرع عليه.

والإمالة في اللغة مصدر أَمَلْتَهُ إمالة، والميل الانحراف عن القَصْد، ومالت الشمس زالت عن كبد السماء.

والإمالة في الاصطلاح تعني أن تنحو بالألف نحو الياء السّاكنة من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه[١]. كما أن الفتحة تُمال أيضا إلى الكسرة في حالتين اثنتين:

**أ - قبل الراء المكسورة المتطرفة** : إذا كانت مباشرة للراء بشرط أن لا تكون فتحة للياء، نحو: من الكبَر، أو تكون مفصولة عنها بحرف مكسور أو ساكن غير الياء، نحو إمالة فتحة الهمزة من «أَشِرٍ»[٢] وفتحة العين من «عَمْرٍو».

**ب - قبل هاء التأنيث الموقوف عليها** : وذلك في مثل: رحمَهْ، ونعمَهْ وجاءت فاطمَهْ، فهذا ونحوه جائز فيه إمالة فتحة الميم إلى الكسر في حالة الوقف فقط،

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني. ص١٥٢ .

(٢) الأشِرُ بكسر الشين: المرِحُ، والأشَرُ - بفتحها -: المَرَحُ انظر: لسان العرب، مادة : أشر.

فإذا وصلتَ وجب الفتح فقلتَ: رحمَةُ الله، ونعَمةُ الله، وجاءت فاطمةُ إلى البيت... كل ذلك بغير إمالة.

فالإمالة – كما ترى – لا تكون إلا في الفتح طويله وقصيره نحو الكسر طويله وقصيره كذلك. هذا هو المشهور المأخوذ به عند الدارسين. والغالب فيه يكون لإمالة الألف نحو الياء.

وقد أجاز بعضهم القول بإمالة الفتحة نحو الضم والألف نحو الواو[١]. وذهب بعضهم الآخر إلى أن الإمالة غير محصورة في إمالة الفتح نحو الكسر والألف نحو الياء، فعندهم أن الضمة والواو إذا سبقتا الراء المكسورة جاز إمالتهما إلى الكسر[٢].

والذي يظهر أن الذين أجازوا القول بإمالة الفتح نحو الضم، وإمالة الضم نحو الكسر إنما حملوا ذلك على المعنى اللغوي للإمالة. وقد سمّى بعضهم الأول «الفتح المشوب بالضم»[٣] وسمّى بعضهم الثاني الضم المشوب بالكسر، كما أن الكسرة يمكن أن تكون مشوبة بالضم[٤].

وقد ذهب بعض العلماء القدماء إلى تسمية كل خلط لحركتين أو لحركة وسكون عدا خلط الفتح بالكسر «إشماما»[٥]، وذلك كإشمام الكسر الضم في مثل: قيل، وبيع، وغيض، وسيق، وحيل، وجيء في قراءة الكسائي وبعض القراء الآخرين[٦]، يُشيرون بذلك إلى أصل الثلاثي المبني للمجهول، أي ضم أوله وكسر

---

(١) في اللهجات العربية، ص ٦٥، ٦٦.

(٢) محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١/١٠٤.

(٣) عبد الفتاح إسماعيل شلبي: الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٢٤، ٢٥.

(٤) راجع: سر صناعة الإعراب: ١/٦١.

(٥) الإشمام في اصطلاح كثير من العلماء: ضم الشفتين بعد سكون الحرف، أي أنه يقتصر على خلط السكون بالضم، غير أن بعضهم يطلقه على خلط الحركة بالحركة والحرف بالحرف. انظر: التمهيد في علم التجويد: ص٧٣.

(٦) انظر: السبعة في القراءات: ص١٤٣.

ثانيه (فُعِل)، وكقلب الكسائي ضمة الباء من «البيوت»[1] كسرة لتلائم الياء ثم إشمامها الضم إشارة إلى الأصل، كذلك إشمام نافع كسرة الهاء من «يُؤَدِّهِ»[2] فتحًا، وكإسكان أبي عمرو الراء من ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨] إشارة إلى أصلها ﴿أَرْنِنَا﴾ وإشمامها الكسر إشارة إلى الحركة المنقولة إليها بعد حذف الهمزة الثانية.

وكما سموا خلط الحركتين وخلط الحركة والسكون إشمامًا فإنهم سموا كذلك خلط الصوامت إشمامًا، كما هو حال قراءة حمزة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾؛ [الفاتحة: ٦] قال ابن مجاهد: «حمزة كان يُشِمُّ الصاد، فيلفظ بها بين الصاد والزاي»[3].

**٢ - أنواعها:**

ذكرنا من قبل أن الغالب المشهور من الإمالة هو إمالة الألف نحو الياء لأنه لا حديث عن أنواع الإمالة أو درجاتها من الناحية العملية إلا إذا تعلق الأمر بذلك، أي بإمالة الألف نحو الياء. وقد قسمها علماء القراءات إلى نوعين اثنين.

أ - **الإمالة الكبرى**: وهي التي يُعبّرون عنها بالإمالة الشديدة وذلك بأن تنحو بالألف إلى حَدٍّ لَوْ زاد صار ياءً[4]. وعرّفها ابن الجزري بقوله: «حدّها أن ينطق بالألف مركّبة على فتحة تُصْرف إلى الكسر كثيرًا»[5].

هذا النوع من الإمالة معروف عند علماء القراءات بأسماء أخرى إذْ يُقال له الإضجاع، ويقال له البطح، وربما قيل له الكسر أيضا[6].

فأما تسميتها بالإضجاع فمن أضْجَعْتَ فلانًا إذا وضعتَ جنبَه بالأرض أو من ضجع يضجع إذا وضع جنبه بالأرض[7].

---

(١) من قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].
(٢) من قوله تعالى: ﴿يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥].
(٣) السبعة في القراءات: ص١٠٦.
(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص١٩.
(٥) التمهيد في علم التجويد، ص٧٢.
(٦) راجع: النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٠، والتمهيد في علم التجويد: ص٧٢.
(٧) انظر: لسان العرب: ٤ / ٢٥٥٤، مادة: ضجع.

وأما تسميتها بالبطح فمن بطحت فلانا على وجهه إذا ألقيته على وجهه فانبطح، أي بسطته على وجه الأرض فانبسط[١].

وأما تسميتها بالكسر فمبالغة في إمالة هذا النوع وهو غير بالغه، وهو ما سوف نوضحه أكثر في المبحث الثاني من هذا الفصل حينما نتحدث عن الإمالة الصغرى بشكل مفصل.

ب - **الإمالة الصغرى** : هي التي عبّر عنها بعضهم بعبارة بين بين وعبّر عنها آخرون بعبارة بين اللفظيْن. والعبارتان بمعنى: بين الفتح والإمالة الكبرى.

وقد سمى بعض الدارسين ما كان من الإمالة بين الكبرى والصغرى إمالة أقرب إلى الكبرى، وسمى ما كان منها بين الصغرى والفتح إمالة أقرب إلى الفتح[٢]، إلا أن ذلك غير معتمد عند علماء القراءات واللغويين اعتماد الإمالة الكبرى والإمالة الصغرى.

**٣ - أصحاب الإمالة :**

لا خلاف بين العلماء والدارسين من أن الإمالة لغة أهل نَجْدٍ من تميم وأسد وقيس[٣]. ولا خلاف بين هذا وما ذكره بعض الدارسين من أنّ «القبائل المميلة هي: تميم، أسد، قيس، هوازن، سعد بن بكر، بكر بن وائل»[٤] فهوازن بطن من قيس، وسعد بن بكر ينتسبون إلى هوازن، وبكر بن وائل مجاورون لتلك القبائل جنوبي العراق[٥] وزاد بعضهم قبيلتي طيئ وتغلب؛ قال الدكتور إبراهيم أنيس: إن الإمالة تنسب «إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها، وأشهرها: تميم وأسد وطيئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب»[٦].

---

(١) لسان العرب: ١/ ٢٩٩، مادة، بطح. (٢) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص٢٣ .
(٣) انظر: النشر: ٢/ ٣٠، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ١١٤، وإبراز المعاني: ص١٥٢ .
(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص١٥٠ . (٥) انظر: المرجع السابق، ص١٥٠ .
(٦) في اللهجات العربية، ص٦٠ .

على كل حال يمكننا القول بصفة عامة أن الإمالة لغة سكان وسط الجزيرة العربية وامتدادا إلى شمالها وشرقيها وشمال شرقيها حتى العراق. فهذا مقرر مشهور، ولكنه لا يمنع من أن تكون الإمالة قد تحدث بها بعض من سكن المناطق أو الأمصار الأخرى من بلاد العرب.

ويعنينا هنا بصفة أكبر أن نعلم أن البيئة العراقية، – والبصرة والكوفة على وجه التحديد – قد تأثرت بتلك القبائل العربية التي كانت تجاورها إلى الجنوب بشمال شرق شبه الجزيرة العربية، وهو ما نص عليه بعض الدارسين منهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي قال: «وقد حدثنا تاريخ الهجرات القبلية، رغم غموضه، بأن أشهر القبائل التي أثرت في بيئة الكوفة والبصرة هي قبائل وسط الجزيرة وشرقها، فعن معظمهم أخذ علماء الكوفة والبصرة، وبهم اقتدوا»[1]. فهل يتفق هذا مع ما أُثِرَ من القراءات الصحيحة بخصوص الإمالة؟ ذلك ما سوف يتضح من خلال الجدول الآتي (رقم ٥) الخاص بما اختلف في إمالته بين القراء من النصف الأول من القرآن الكريم.

**ثانيا – المختلف في إمالته بين القراء**

هذا بيان المختلف فيه من ذلك في النصف الأول من القرآن الكريم موَزّع بين قراءة الفتح وبين بين والإمالة.

(١) في اللهجات العربية: ص٦٠.

## جدول رقم ( ٥ )

| الرقم التسلسلي | الحرف المختلف فيه | السورة ورقم الآية | بالفتح / بين بين / بالإمالة | القـــارئ |
|---|---|---|---|---|
| ١ | فزادهم | البقرة ١٠ | بالفتح بعد الزاي | ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي |
| | | | بين بين | نافع |
| | | | بالإمالجة بين الزاي | حمزة وابن عامر |
| ٢ | في طغيانهم | البقرة ١٥ | بالفتح بعد الياء | السبعة عدا الكسائي |
| | | | بالإمالة بعد الياء | الكسائي |
| ٣ | بالهدى | البقرة ١٦ | بالفتح بعد الدال | ابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو عمرو |
| | | | بين بين | نافع |
| | | | بالإمالة بعد الدال | حمزة والكسائي |
| ٤ | في آذانهم | البقرة ١٩ | بالفتح بعد الذال | السبعة عدا الكسائي |
| | | | بالإمالة بعد الذال | الكسائي |
| | | | بالفتح بعد الياء | ابن كثير وعاصم وابن عامر |
| ٥ | فأحياكم | البقرة ٢٨ | بين بين | نافع والكسائي وأبو عمرو ( عندرؤوس الآي ) |
| | | | بالإمالة بعد الياء | حمزة ( يُميل مشتقات حيي بعد الواو ) |
| | | | بالفتح بعد الراء | ابن كثير وعاصم وابن عامر |
| ٦ | أُسَارى | البقرة ٨٥ | بين بين | نافع |
| | | | بالإمالة بعد الراء | أبو عمرو وحمزة والكسائي |
| ٧ | اشتراه | البقرة ١٠٢ | بالفتح بعد الراء | السبعة عدا عاصم |
| | | | بالإمالة بعد الراء | عاصم |
| ٨ | مرضات | البقرة ٢٠٧ | بالفتح بعد الضاد | عاصم |
| | | | بالإمالة بعد الضاد | السبعة عدا الكسائي |
| | | | بالفتح بعد الراء | ابن كثير وعاصم وابن عامر |
| ٩ | التوراة | آل عمران ٣ | بين بين | نافع وحمزة |
| | | | بالإمالة بعد الراء | أبو عمرو والكسائي |
| ١٠ | تقاة | آل عمران٢٨ | بالفتح بعد القاف | ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر |
| | | | بالإمالة بعد القاف | حمزة والكسائى |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١١ | للأبرار | آل عمران١٩٨ | بالفتح بعد الراء الأولى | ابن كثير وعاصم |
| | | | بين بين | نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي |
| ١٢ | ضِعَافًا خَافُوا | النساء ٩ | بالفتح بعد العين والخاء | السبعة عدا حمزة |
| | | | بالإمالة بعد العين والخاء | حمزة |
| | | | بفتح الراء والهمزة | ابن كثير وعاصم ( في رواية حفص ) |
| ١٣ | رَأَى | الأنعام ٧٦ | بين بين بعد الهمزة | نافع |
| | | | بالإمالة بعد الهمزة | أبو عمرو |
| | | | بإمالة الراء والهمزة | ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم ( في رواية شعبة ) |
| ١٤ | هَدَانِ | الأنعام ٨٠ | بالفتح بعد الدال | السبعة عدا الكسائي |
| | | | بالإمالة بعد الدال | الكسائي |
| ١٥ | هَارٍ | التوبة ١٠٩ | بالفتح بعد الهاء | ابن كثير وحمزة وعاصم ( في رواية حفص ) وابن عامر |
| | | | بالإمالة بعد الهاء | نافع وأبو عمرو والكسائي وعاصم ( في رواية شعبة ) |
| ١٦ | الر | يونس ١ | بالفتح بعد الراء | ابن كثير ونافع ( رواية المسيبي ) وعاصم ( رواية حفص ) |
| | | | بالإمالة بعد الراء | أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ونافع ( رواية ابن جماز ) وعاصم ( رواية شعبة ) |
| ١٧ | ولاأدراكم به | يونس ١٦ | بالفتح بعد الراء | ابن كثير ونافع وعاصم ( رواية حفص ) |
| | | | بالإمالة بعد الراء | أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم ( رواية شعبة ) |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | | | بالفتح بعد الراء والسين | ابن كثير وابن عامر |
| ١٨ | مجراها ومرساها | هود ٤١ | بالفتح بعد السين | أبو عمرو وعاصم ( رواية حفص ) |
| | | | بالإمالة بعد الراء والسين | نافع وحمزة والكسائي وعاصم ( رواية شعبة ) |
| | | | بالإمالة بعد الراء | أبو عمرو |
| ١٩ | رؤياك | يونس ٥ | بالفتح بعد الياء | السبعة عدا الكسائي |
| | | | بالإمالة بعد الياء | الكسائي |
| ٢٠ | يَلْقَاهُ | الإسراء ١٣ | بالفتح بعد القاف | ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم |
| | | | بالإمالة بعد القاف | حمزة والكسائي |
| | | | بالفتح بعد الميم في الإثنين | ابن كثير ونافع وابن عامر واصم ( رواية حفص ) |
| ٢١ | أعْمَى.. أعْمَى | الإسراء ٧٢ | بالإمالة في الأولى والفتح في الثانية | أبو عمرو |
| | | | بالإمالة بعد الميم في الأولى والثانية | حمزة والكسائي وعاصم ( رواية شعبة ) |
| | | | بالفتح بعد الهمزة | ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم ( رواية حفص ) |
| ٢٢ | ونأى | الإسراء ٨٣ | ناء ( بالقلب والفتح ) | ابن عامر |
| | | | بالإمالة بعد الهمزة | عاصم ( رواية شعبة ) وحمزة ( رواية خلاد ) |
| | | | بالإمالة بعد النون والهمزة | الكسائي وحمزة ( رواية خلف ) |
| ٢٣ | وما أنسانيه | الكهف ٦٣ | بالفتح بعد السين | السبعة عدا الكسائي |
| | | | بالإمالة بعد السين | الكسائي |

**أهم ما يمكن استخلاصه من هذا الجدول الملاحظات الآتية:**

١ – بلغ عدد الأحرف المختلف فيها بين الإمالة الكبرى والإمالة الصغرى (بين بين) وسالفتح في النصف الأول من القرآن الكريم ثلاثة وعشرون (٢٣) حرفا، منها ثلاثة أحرف عبارة عن أزواج هي الحاملة للأرقام: ١٢، ١٨، ٢١ . وقد اعتبرنا الزوج الواحد منها حرفا واحدا لارتباط اختلاف القراءات فيها بعنصري الزوج الواحد. ولوحظ أن حرفين عبارة عن فعلين ثلاثيّيْن ناقصيْن عينهما همزة هما الحاملان للرقمين: ١٣، ٢٢، قد قرأهما الكوفيان حمزة والكسائي بإمالة مزدوجة فأمالا فتحة الأول وألف الثاني، ووافقهما ابن عامر وعاصم فيما رواه عنه شعبة في الحرف ١٣ (رأى).

٢ – أمال من هذه الأحرف إمالة كبرى كل من:

**أ – الكسائي:** ثمانية عشر (١٨) حرفا، هي الحاملة للأرقام: ٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ .

**ب – حمزة:** ثلاثة عشر (١٣) حرفا، هي الحاملة للأرقام: ١، ٤، ٥، ٦، ١٠، ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢ .

**جـ – أبوعمرو:** ثمانية (٨) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ٦، ٩، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١ .

**د – عاصم:** ثمانية (٨) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ٧، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢ .

**هـ – ابن عامر:** أربعة (٤) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ١، ١٣، ١٦، ١٧ .

**و – نافع:** ثلاثة (٣) أحرف، هي الحاملة للأرقام: ١٥، ١٦، ١٨، والحرف رقم ١٦ لم يروه عنه بالإمالة الكبرى سوى ابن جماز كما حكاه ابن مجاهد حيث قال: «وقال ابن جمّاز: نافع يُكسر الراء»[١]. وفي معاني القراءات للأزهري: «وقرأ

(١) السبعة في القراءات: ص٣٢٢ .

نافع [ هذا الحرف ] بين الفتح والكسر»[1]. وإذا صح هذا القول الأخير فإن نافعًا لم يقرأ بالإمالة الكبرى سوى حرفين مما اختلف فيه في النصف الأول من القرآن الكريم هما: رقم ١٥ ( هار ) ورقم ١٨ ( مجراها ومرساها ).

ز - **ابن كثير**: لم يُمل أي حرف من الأحرف المذكورة، بل إنه لم يُمل شيئا في جميع القرآن كما أُثر عنه[2].

٣ - وبناء على ما ورد في الملاحظة الثانية تكون نسب القراءة بالإمالة الكبرى كالآتي:

- بلغت نسبة ذلك عند قراء العراق كالآتي:

* الكسائي الكوفي: ٨١,٨١٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

* حمزة الكوفي: ٥٩٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

* أبوعمرو البصري: ٣٦,٣٦٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

* عاصم الكوفي: ٣٦,٣٦٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

أي بنسبة عامة بلغت أكثر من ٥٣,٣٨٪.

- أما نسبة الإمالة الكبرى عند بقية القراء فكانت كالآتي:

* ابن عامر الشامي: ١٨,١٨٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

* نافع المدني: ١٣,٦٣٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

* ابن كثير المكي: ٠٠٪ من مجموع الأحرف المختلف فيها.

أي بنسبة عامة بلغت ١٠,٦٠٪ تقريبا.

نستنتج من المعطيات السابقة ثبوت أثر قبائل نجد المميلة في قرّاء العراق. وهو أمر يتوافق قطعيا مع المعطيات التاريخية التي نبهت على هذا الأثر.

---

( ١ ) معاني القراءات: ٢/ ٣٩ . ( ٢ ) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٠٨ .

إنّ أثر تلك القبائل أهل الإمالة هو السبب الرئيسي والمباشر في ارتفاع نسبة الإمالة عند قراء العراق. يأتي بعد ذلك مصادر قراءة هؤلاء القراء الأخرى، وشيوخهم، والبيئات التي عاشوا فيها، فإن لذلك أثراً في اختيار كل قارئ لما يقرأ به ويؤخذ عنه. ولك في اختيار ابن كثير نموذج حيّ، فالأصل في قراءته الخالية من الإمالة تعود إلى عبد الله بن السائب المخزومي مقرئ أهل مكة الذي أرسله الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بمصحف إليها. وتذكر كتب الطبقات والتراجم أن ابن كثير ظل ثلاثة أرباع قرن بمكة مقيما فيها[1]. ولك في اختيار عبد الله بن عامر الشامي نموذج آخر، فهو مقلٌّ في الإمالة لأن أصل قراءته تعود إلى أبي الدرداء الأنصاري الخزرجي، وإلى المغيرة بن شهاب المخزومي صاحب الإمام عثمان بن عفان القرشي الحجازي.

وإذا بحثت عن أسباب أخرى في أمر إكثار قراء العراق للإمالة خاصة الإمام حمزة وصاحبه الكسائي تبيّن لك شيء من تلك العوامل البيئية والمرجعية؛ فالأولى تتمثل في غلبة الأسديين في الكوفة بعد استيطانهم إياها حيث سيطرت لهجتهم على بقية اللهجات الأخرى، وقد كان الكسائي مولى هؤلاء الأسديين وربيبهم[2]. والثانية تتمثل في غلبة مذهب الشيعة على قراءتهم بدءاً من الصحابي عبد الله بن مسعود الذي أرسل إلى هناك لإقراء الناس وقد أُثِر عنه أنه كان يُميل في قراءته[3]. وتذكر بعض الدراسات أن كون علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – سنَد الإمام حمزة في القراءة يجعله سنداً «كُلّه شَيوخ كوفيون شيعيّون»[4]. ذلك أن حمزة قد أخذ القراءة على جعفر الصادق على أبيه محمد الباقر على أبيه زين العابدين على أبيه الحسين على أبيه علي بن أبي طالب[5].

---

(١) معرفة القراء الكبار، للذهبي: ١/٨٦. وانظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١١٧.

(٢) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٢٨.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر: ٢/٣١.

(٤) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٢٧. (٥) انظر: المرجع السابق: ص١٢٧.

ولعل سائلا يسأل: لماذا لم يكن أبو عمرو بن العلاء وعاصم – وهما عراقيان – مكثرين في الإمالة الكبرى إكثار حمزة والكسائي؟ والجواب عن ذلك نوجزه في أمرين اثنيْن:

– **الأول**: هو أن القراءة اختيار لمأثور، وأن الإمالة والفتح كل منهما متضمّنٌ في معنى حديث الأحرف السّبعة، ولا يبعد أن يكون ذلك وراء توزيع عاصم لاختياره فكان يقرئ أبا بكر شعبة بالإمالة ويقرئ حفصًا بالفتح.

– **الثاني**: يتمثل في أن كلا من أبي عمرو وعاصم قد خضع لمعطيات خاصة؛ منها أن أبا عمرو قد تتلمذ لإمامي مكة والمدينة ابن كثير ونافع مقرئيْ الحجازيين وهم أهل الفتح أو التفخيم لا الإمالة، وأنّ عاصمًا (ت ١٢٨ هـ) قد «سبق كلا من حمزة الكوفي (ت ١٥٦ هـ) وأبا عمرو البصري (ت ١٥٤ هـ) بنحو ربع قرن، وسبق الكسائي الكوفي (ت ١٨٩ هـ) بنحو من ستين عاما، فلعل القبائل العربية الممیلة النازحة إلى العراق لم تكن قد تمّت سيطرتها اللغوية.. ولعلها لم تكن قد تناسلت وتكاثرت بحيث تجعل عاصمًا يثبت على الميل الذي رواه عنه أبو بكر»[1].

على كل حال، إننا نهدف في النهاية للوقوف على العلل أو الأسباب اللغوية الحقيقية والخاصة التي لأجلها كان يُميل مَنْ يُميل مِنَ القراء وغيرهم. ويبدو أن الإمالة مع كونها لغة من لغات العرب الفصيحة إنما كان يُلجأ إليها بغرض التخفيف في الكلام، حالها في ذلك حال الإدغام كما سبق توضيحُه وكذلك غرض كثير من الظواهر الصوتية الأخرى كالقلب والإبدال؛ قال ابن الجزري: «وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال مَنْ أمال»[2].

---

(١) الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص١٢٢.

(٢) النشر في القراءات العشر: ٢/ ٣٥.

**ثالثا : علل الإمالة**

في الواقع، الحديث عن علل الإمالة بدأ قبل الآن، فالفقرات السابقة كانت تتحدث عن ذلك حديثا عاما أهم ما فيه غلبة الإمالة عند قراء العراق لما كان للقبائل المميلة من أثر في البيئة العراقية، ولما كان للإمالة ذاتها من تخفيف في النطق. وقد أردنا أن يكون حديثنا في الفقرات اللاحقة حديثا لغويا خاصا في أمر هذه العلل أو الأسباب التي يمكن أن نحصرها في اثنتي عشرة علة هي[1]:

١ - **إمالة الألف بسبب كسرة متقدمة عليها**، مثل: كتاب، حساب، عماد. وأجازوا الإمالة مع الفصل بين الألف والكسرة المتقدمة بحرفين بشرط أن يكون أولها ساكنا، نحو: إِنْسَان، أو أن يكون الحرفان الفاصلان مفتوحَيْن وثانيهما هاء، نحو: لن يضرِبَهَا، وعللوا ذلك بكون الهاء حرفا خفيًّا وكون الساكن حاجزًا غير حصين[2].

٢ - **إمالة الألف بسبب ياء متقدمة عليها**، مثل: الأيام والحياة. وأجازوا الفصل بين الألف والياء المتقدمة، مثل: شيْبان وحيَوَان، ولكن الإمالة في الأولى (شيبان) عندهم أقوى منها في الثانية (حيوان) لأن الياء في الأولى ساكنة. كما أجازوا الفصل بحرفين مفتوحين بشرط أن يكون ثانيهما هاء، مثل: قبّلت يَدَهَا.

٣ - **إمالة الألف بسبب كسرة متأخرة مباشرة لها** سواء كانت هذه الكسرة جزءاً من بنية الكلمة أو كانت علامة إعراب مثل: عابِد، حامِد، وشاكر، وسالم، وكامل، ومن الناس، وفي النارِ.

٤ - **إمالة الألف بسبب ياء متأخرة مباشرة لها**، يحصل ذلك في الأسماء والأفعال على حد سواء وكيفما كانت حركة الياء، مثل: معايِش، مبايِع، سايَر، تحايَل.

---

(١) راجع: النشر في القراءات العشر: ٢ / ٣٢ - ٣٥ وكتاب سيبوية: ٤ / ١١٧ - ١٤٢ .
(٢) انظر: النشر: ٢ / ٣٣ .

٥ - **إمالة الألف بسبب وقوعها عينا في فعل أجوف يصير وزنه عند إسناده إلى تاء الضمير «فِلْت»** مكسور الفاء محذوف العين، مثل: خاف، باع، سواء كانت الألف أصلها ياءً أو واواً. وذهب ابن الجزري إلى أن الإمالة في «خاف» هي «لأجل الكسرة المقدرة في المحل الممال»[١] لأن أصل خاف «خوِف» بكسر الواو، ولو كانت بفتح الواو لبطلت الإمالة عندئذ. وألحق بعضهم الإمالة في «باع» وما كانت ألفه في الأصل ياء بسبب ما كانت الألف فيه ياء في الأصل[٢]. وهو السبب الموالي.

٦ - **إمالة الألف بسبب كونها في الأصل ياء متطرفة**، مثل: الهدى، والفتى، والثرى، ورمى، وسقى، وأتى، ويخشى، واشترى... وقد سمى ابن الجزرى هذا السبب: الإمالة لأجل الياء المقدرة في المحل الممال[٣]، حالها في ذلك حال إمالة الألف في «خاف».

٧ - **إمالة الألف بسبب كونها واقعة عينا للكلمة معلّة بالقلب عن ياء**، مثل: باع، وطاب، وناب، وجاء، وشاء، وزاد... ونحن نذكر هذا على اعتبار أنه سبب قائم بذاته أخذا بما هو جار في كتب القراءات، وإن كان هذا السبب والسبب السابق (رقم ٦) مما كانت الألف فيه ياء في الأصل إلا أن ذلك وقعت الألف فيه لاما متطرفة، وهذا وقعت الألف فيه عينا في وسط الكلمة.

٨ - **إمالة الألف التي أصلها واو بسبب انقلابها إلى ياء في بعض الأحوال**، مثل: تلا، وغزا. قال ابن الجزري: «وذلك لأن الألف فيهما منقلبة عن واو التلاوة والغزو، وإنما أميلت في لغة مَنْ أمالها لأنك تقول إذا بنيْت الفعل للمفعول: تُلِيَ وغُزِيَ (أي بقلب الألف فيهما ياء) مع بقاء عدة الحروف كما كانت حين بنيْتَ الفعْل للفاعل»[٤].

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢/٣٣.
(٢) انظر: كتاب سيبوية: ٤/١١٧ والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها: ١/٩٧.
(٣) النشر في القراءات العشر: ٢/٣٤. (٤) نفسه: ٢/٣٤.

٩ - **إمالة الألف أو الفتحة بسبب مجاورتهما أو قربهما من ألف ممالة**. مثل: إمالة فتحة الراء في «رأى» لأجل إمالة الألف بعد الهمزة، وإمالة الألف الموقوف عليها المبدلة من التنوين في قولنا: رأيت عِمَادًا لأجل إمالة الألف الأولى قبلها المسبوقة بكسر. وقال ابن الجزري: «وقيل في إمالة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] و﴿الْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] و﴿وَضُحَاهَا﴾ و﴿تلاها﴾ [الشمس: ١] إنها بسبب إمالة رؤوس الآي قبل وبعد، فكانت من الإمالة للإمالة. ومن ذلك إمالة قتيبة عن الكسائي الألف بعد النون من ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦] لإمالة الألف من "الله"»[١].

١٠ - **إمالة الألف بسبب الشبه، كإمالتهم ألف التأنيث** في نحو: الحسنى، «قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف الهدى»[٢]. أي أنهم حملوا ألف التأنيث في «فُعْلَى» على الألف المتطرفة المنقلبة عن ياء، وذهب ابن الجزري إلى جواز إمالتها لأنها «تنقلب ياء في بعض الأحوال، وذلك إذا ثَنَّيْتَ قلت: الحُسْنَيَان»[٣].

وعلة الشبه هذه ليست محصورة فيما كان على وزن «فُعْلَى» وشابه ما تطرّف وكان أصله ياء، بل إنهم جعلوها متضمنة أيضا ما شابه المشبه بالمتطرف الذي أصله ياء «كإمالتهم موسى وعيسى، فإنه أُلحق بألف التأنيث المشبهة بالهدى»[٤].

١١ - **إمالة الألف بسبب كثرة الاستعمال**، كإمالتهم ألف «الحُجّاج» لكثرته في كلامهم، منسوب إلى سيبويه[٥]. وإمالتهم ألف «النّاس» رفعًا ونصبًا وجرًّا. وأجاز ابن الجزري أن يقال في ألف «الناس» إنها أميلت لأنها منقلبة عن الياء[٦]. وشبهها سيبويه بما كانت الألف فيه ثانية مكسور ما بعدها كاسم الفاعل من الثلاثي الصحيح[٧].

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢/٣٤. (٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص١٤٧.
(٣) النشر في القراءات العشر: ٢/٣٤. (٤) النشر: ٢/٣٤.
(٥) راجع: كتاب سيبويه: ٤/١٢٧. (٦) انظر: النشر: ٢/٣٥.
(٧) الكتاب: ٤/١٢٨.

١٢ - **إمالة الألف لأجل الفرق بين الاسم والحرف**، كإمالة ألف «باء» و«تاء» «لأنها أسماء ما يُلفظ به فليست مثل «ما» و«لا» وغيرها من الحروف المبنية على السكون»[١].

هذا مجمل ما توفر لدينا من أسباب الإمالة اعتمدنا في جمعه وتنسيقه على بعض مؤلفات الأسلاف ككتاب «النشر» لابن الجزري، و«الكتاب» لسيبويه. ولننظر الآن إلى أي من هذه الأسباب أو العلل يمكن أن نردّ إمالة مَنْ أمال في الأحرف المذكورة.

**أما الحرف رقم ١** المتمثل في «فزادهم» من قوله تعالى ﴿**فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: ١٠] فقد قرأه حمزة وابن عامر بالإمالة بعد الزاي بسبب كون الألف واقعة عينا للكلمة معلة بالقلب عن الياء.

**وأما الحرف رقم ٢** المتمثل في «طغيانهم» من قوله تعالى ﴿**وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [البقرة: ١٥] فقد انفرد الكسائي بإمالة الألف فيه لعلتين: الأولى بسبب الياء المتقدمة على الألف، والثانية بسبب الكسرة المتأخرة المباشرة للألف.

**وأما الحرف رقم ٣** المتمثل في «آذانهم» من قوله تعالى ﴿**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ [البقرة: ١٩] فقد انفرد الكسائي كذلك في قراءته بالإمالة بعد الذال للعلة السابقة حيث إن الألف قد باشرتها كسرة بتأخر.

**وأما الحرف رقم ٤** المتمثل في «بالهدى» من قوله تعالى ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٦] فقد قرأه حمزة والكسائي بالإمالة بعد الهاء لكون الألف ههنا أصلها ياء، وقد تطرّفت، وهو من المشهور عند القراء بذوات الياء.

**وأما الحرف رقم ٥** المتمثل في «فأحياكم» من قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ**

---

(١) النشر: ٢/ ٣٥.

﴿بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فانفرد فيه حمزة بإمالة الألف إمالة كبرى لكون الألف مسبوقة بالياء وليس بينهما فاصل.

**وأما الحرف رقم ٦ المتمثل في «أُسارى»** من قوله تعالى ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] فقد قرأه حمزة والكسائي بالإمالة بعد الراء وكذلك أبو عمرو، وذلك لعلة الشبه؛ شبهوا ذلك بما كانت ألفه في الأصل ياء متطرفة، أو هي ملحقة بما كان على وزن «فَعْلَى» الذي شابه ما تطرفت ألفه وكان أصلها ياء.

**وأما الحرف رقم ٧ المتمثل في «اشتراه»** من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ[١] مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقد انفرد عاصم فيما رواه عنه حفص بقراءة ذلك بالإمالة بعد الراء، قال ابن مجاهد: «روى هُبَيْرة عن حفص عن عاصم: لمن اشتراه ممالة».[٢] وهو حكم لا يستقيم لثلاثة أسباب:

١ – أن عاصما معروف عنه غلبة الفتح لا الإمالة، وهو ما نبّهَ عليه ابن مجاهد نفسه، حيث قال: «والمعروف عن عاصم التفخيم».[٣]

٢ – أنه لم ينسب إلى أي من القراء السبعة غير عاصم القراءة بالإمالة في هذا الحرف، والمعروف أن عاصما لم ينفرد بالإمالة في أي من الأحرف المختلف فيها، وإنما يكون ردفا معطوفا على غيره في ذلك.

٣ – أن رواية الإمالة عنه منسوبة في العادة إلى راويّه أبي بكر شعبة بن عياش لا إلى حفص، ثم إن ابن مجاهد قد نبّه على أن حفصا روى عن غير هُبيرة أن عاصما قرأ بالتفخيم في هذا الحرف.[٤]

وأما سبب الإمالة هنا فَتَطَرُّفُ الألفِ، إذ هي واقعة لاما للكلمة كما أنها منقلبة عن ياء.

---

(١) الهاء في «اشتراه» تعود على كتاب الله، والواو في «علموا» تعود على اليهود.
(٢) السبعة في القراءات، ص١٦٨ . (٣) السبعة في القراءات، ص١٦٨ .
(٤) انظر: السبعة في القراءات، ص١٦٨ .

أما الحرف رقم ٨ المتمثل في «مرضات» من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] فقرأه الكسائي وحده بالإمالة بعد الضاد لعلة الشبه أو لأن الألف تقلب ياء في بعض المشتقات. فأصل الألف واو (من: رَضِوَ) ولكنها تقلب في صيغة الفعل الماضي ياء، فنقول: رَضِيَ، وفي اسم المفعول: مرضيٌّ عنه، وفي اسم الفاعل المؤنث: راضيّة، فكل ذلك بالياء.

**وأما الحرف رقم ٩** المتمثل في «التوراة» من قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] فاختار فيه أبو عمرو والكسائي الإمالة بعد الراء، وأشار ابن مجاهد(١) أيضا إلى أنهما أمالا الألف بين الراءين من ﴿الأبرار﴾ و﴿مِّنَ الأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢] و﴿مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٦٢] و﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾. [المؤمنون: ٥٠] وواضح أن إمالتهما الألف في هذه الأحرف الأربعة الأخيرة إنما كان لأجل الكسر الذي لحق الألف وباشرها. وأما إمالتهما الألف بعد الراء في «التوراة» فلأنها شابهت ألف التأنيث التي شابهت بدورها الألف المتطرفة المنقلبة عن ياء، وذلك ما ذهب إليه أبو علي الفارسي حيث قال: «وقول من أمال: إن الألف لما كانت رابعة لم تخل من أن تشبه ألف التأنيث أو الألف المنقلبة عن الياء أو عن الواو..»(٢)، وذهب ابن خالويه إلى أن الألف في «توراة» أصلها ياء، فعنده أن الكلمة أصلها «وَوْرَيَة» قلبت فيها الواو الأولى تاء، وقلبت الياء ألفا ليسهل النطق بالكلمة(٣).

**وأما الحرف رقم ١٠** المتمثل في «تقاة» من قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] فأمال ألفها حمزة والكسائي. والأرجح أن يقال إن علة ذلك جواز انقلابها إلى ياء في بعض الأحوال أو التصاريف، فاسم الفاعل من ذلك

---

(١) راجع: السبعة في القراءات، ص٢٠١. (٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٤٤.
(٣) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦.

بالياء في قولك: قابلت مُتّقيًا الله. ولا يبعد أن يكون مقيسا على ما كان أصل ألفه الياء، وهو مذهب ابن خالويه الذي يرى أن «تقاة» أصلها «تَقَيَة» «انقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها»[1]. وذهب أبو علي الفارسي إلى أن حجة الإمالة ما ذكره سيبويه من «أن قوما قد أمالوا من هذا مع المستعلي ما لا ينبغي أن يُمال في القياس... وذلك قول بعضهم: رأيتُ عِرْقًا وضِيقًا»[2]. والذي عليه القياس أن الحروف المستعلية والتي منها القاف مَانِعَةٌ لإمالة الألف بتقديم وتأخير خاصة إذا كانت متصلة بها[3].

**وأما الحرف رقم ١١ المتمثل في «للأبرار» من قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾** [آل عمران: ١٩٨] فإن من قرأه منهم بالإمالة لم يبلغ به حدَّ الإمالة الكبرى[4].

**وأما الحرف رقم ١٢ المتمثل في «ضِعَافًا خافوا عليهم» من قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾** [النساء: ٩] فقد انفرد حمزة بإمالة الألف بعد العين والخاء. أما سبب إمالتها بعد العين في «ضِعَافًا» فلأجل كسرة الضاد السابقة عليها والمفصولة عنها، إذ أن كون الضاد وهي حرف استعلاء مكسورة غير مانع للإمالة. وقد يقيسه بعضهم على إمالة قتيبة عن الكسائي لألف «إنا» لأجل إمالة ألف «الله» من قوله ﴿إنا لله﴾ فتكون الإمالة في «ضعافا» لأجل إمالة الألف في «خافوا». والعلة الأولى أرجح وأقوى.

وأما إمالة الألف بعد الخاء في «خافوا» فلأنها واقعة عينا لفعل وزنه مع تاء الضمير «فِلْت» (خِفْتُ) بكسر الفاء وحذف العين.

وذهب الأزهري إلى أن قراءة الإمالة في هذين الحرفين غير قوية، وأن النحاة لا يُجيزون فيهما إلا التفخيم[5].

---

(١) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧.
(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٥٣ وانظر: كتاب سيبويه: ٤/١٣٧.
(٣) راجع تفصيل ذلك: كتاب سيبويه: ٤/١٣٤.
(٤) انظر: السبعة في القراءات، ص٢٢٢. (٥) معاني القراءات: ١/٢٩٢.

**أما الحرف رقم ١٣** المتمثل في «رأى» من قوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] فأمال ألفها أبو عمرو لتطرفها وانقلابها عن الياء، ولم تمنع الراء المفتوحة إمالتها لانفصالها عنها. وأما حمزة والكسائي وابن عامر وكذا عاصم في رواية شعبة فإنهم أمالوا الألف للعلة المذكورة وأمالوا قبلها فتحة الراء لمجاورتها الألف الممالة، وهو ما ذهب إليه ابن خالويه في قوله: «والحجة لمن أمال الهمزة والراء قبلها فإنه أتبع بعض الحروف بعضا بالإمالة، وكسر الياء بواجب الإمالة، وكسر الهمزة لمجاورة الياء، وكسر الراء لمجاورة الهمزة»(١).

**وأما الحرف رقم ١٤** المتمثل في «هدان» من قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام أيضا ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [الأنعام: ٨٠] فانفرد الكسائي بإمالة الألف فيه لوقوعها لاما للفعل وانقلابها عن الياء، وإليه ذهب ابن خالويه فقال: «فالحجة لمن أمال أنه في الأصل من ذوات الياء»(٢).

**وأما الحرف رقم ١٥** المتمثل في «هار» من قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. [التوبة: ١٠٩] فقد قرأه بإمالة الألف كل من نافع وأبي عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر شعبة، واختلف عن ابن عامر(٣). وعلة ذلك كون الألف قد تلاها كسر، ولم يمنع الإمالة كون المكسور هو الراء، ووزن «هَارٍ» فَالٍ لأن أصلها «هَايِرٌ» ولكن الياء أُخّرت وقُدّمت الراء مكانها على القلب المكاني فعُوملت الكلمة معاملة الاسم المنقوص، ويجوز القول بناء على ذلك بأن علة الإمالة هي الياء الواقعة تقديراً بعد الألف(٤).

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص١٤٣. (٢) نفسه، ص١٤٤.

(٣) قيل: إن ابن عامر قرأ هذا الحرف بالإمالة، وقيل: قرأه بالفتح، انظر: السبعة: ص٣١٩ بالهامش.

(٤) انظر: النشر: ٢/٥٧ والحجة في القراءات السبع: ص١٧٧.

**وأما الحرف رقم ١٦** المتمثل في «آلر» أول سورة يونس فقرأه بالإمالة بعد الراء كل من حمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر وعاصم فيما رواه عنه شعبة وكذا نافع فيما رواه عنه ابن جمّاز، وذلك لأجل الفرق بين الاسم والحرف، وكذلك فعلوا في الألف بعد الراء من «آلر» في أول هود ويونس وإبراهيم والحجر، وفي الألف بعد الراء من «آلمر» أول الرعد[١]. غير أن نافعا قد اختلف عنه في الخمس الأخيرة بين الفتح والإمالة الصغرى.

**وأما الحرف رقم ١٧** المتمثل في «أدراكم» من قوله تعالى على لسان سيدنا محمد ﷺ ﴿ **قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ** ﴾ [ يونس : ١٦ ][٢] فقرأه بإمالة الألف بعد الراء حمزة والكسائي وأبو عمرو وابن عامر وكذا شعبة عن عاصم، والعلة في ذلك انقلاب الألف عن الياء، ووقوعها رابعة، من الفعل درى يدري دراية[٣]، إلا أن الإمالة تَضْعُفُ لا نفتاح الراء التي باشرتها الألف.

**وأما الحرف رقم ١٨** المتمثل في «مجراها ومرساها» من قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا** ﴾ [ هود : ٤١ ] فقرأ ذلك بإمالة الألف بعد الراء من «مجراها» وبعد السين من «مرساها» كل من حمزة والكسائي ونافع وشعبة عن عاصم، وقرأ أبو عمرو بالإمالة في الأولى فقط. وعلة ذلك وقوع الألف رابعة منقلبة عن الياء. وقد يذهب بعضهم إلى أن إمالة الألف في الثانية كان إتباعا أو مجاورة لإمالة أختها في الأولى. ولعل بعضهم أيضا يجيز ذلك لعلة الشبه بـ «فُعْلَى». ولم يمنع حرف الراء الإمالة في الكلمتين لانفصاله عن الألف.

**أما الحرف رقم ١٩** المتمثل في «رؤياك» من قوله تعالى على لسان أبي يوسف عليه السلام: ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** ﴾ [ يوسف : ٥ ] فانفرد فيه الكسائي بإمالة الألف لأنها مسبوقة بالياء.

---

( ١ ) انظر: النشر: ٢ / ٦٦ .

( ٢ ) ومعنى «لا أدراكم به»: لا أعلمكم به ( أي بالقرآن ) على لساني. انظر: الكشاف: ٢ / ٣٣٥ .

( ٣ ) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص ١٨٠ .

**وأما الحرف رقم ٢٠** المتمثّل في «يلقاه» من قوله تعالى: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**﴾ [الإسراء: ١٣] فقرأه حمزة والكسائي بإمالة الألف بعد القاف لأنها وقعت رابعة منقلبة عن الياء (أصل الفعل لَقِيَ)، ولم تمنع القاف الإمالة مع كونها حرفا من حروف الاستعلاء المانعة للإمالة لأن الألف إذا خرجت من موضعها استعلت مثلها[١]. وإنما أميلت الألف لتغليب العلة السابقة وهي علة مزدوجة: وقوع الألف رابعة وانقلابها عن الياء، ثم مجيء الهاء بعدها، وهي حرف ضعيف فيه هشاشة حاله حال هاء التأنيث الموقوف عليها بعد الألف الممالة لأجلها، ثم إن إمالة الألف بعد القاف هو مما يفعله بعض العرب على غير قياس، وقَدْ نَبَّهَ عليه سيبويه فقال: «وقد أمال قوم في هذا ما لا[٢] ينبغي أن يمال في القياس .. وذلك قول بعضهم: رأيت عرْقَا وضِيقَا»[٣].

**وأما الحرف رقم ٢١** المتمثل في «أعمى.. أعمى» من قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[الإسراء: ٧٢] فقد قرأه حمزة والكسائي وأبو بكر شعبة عن عاصم بإمالة الألف في الأولى والثانية، وأمالها أبو عمرو في الأولى فقط. وعلة إمالة الألف هنا وقوعها رابعة متطرفة ومنقلبة عن الياء.

**وأما الحرف رقم ٢٢** المتمثل في «نأى» من قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ**﴾ [الإسراء: ٨٣] فقرأه الكسائي وحمزة فيما رواه عنه خلف بإمالة الألف والنون، وقرأه أبو بكر شعبة عن عاصم وخلاد عن حمزة بإمالة الألف بعد الهمزة فقط. وتعليل الإمالة فيه كتعليل الإمالة في الحرف رقم ١٢ حيث أميلت الألف لتطرفها وانقلابها عن الياء (مصدرها: النأي) وأميلت فتحة النون لمجاورتها الألف الممالة أو الهمزة التي أميلت ألفها[٤].

---

(١) انظر: كتاب سيبوية: ٤/ ١٢٩ .

(٢) في الأصل: ما ينبغي، والتصحيح من الحجة في علل القراءات السبع: ٢/ ٣٥٣ .

(٣) كتاب سيبويه: ٤/ ١٣٤ .

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢٢٠، وإعراب القراءات: ١/ ٣٨١ .

**وأما الحرف الأخير رقم ٢٣** المتمثل في «أنسانيه» من قوله تعالى على لسان فتى سيدنا موسى عليه السلام ﴿**قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾ [الكهف : ٦٣] فقد انفرد الكسائي فيه بإمالة الألف بعد السين لأنها وقعت رابعة منقلبة عن الياء (أصل الفعل: نَسِيَ)، ثم إنه قد تلاها كسر بدون فاصل، وكل ذلك يجعل الإمالة قوية(١).

هذه علل ما أميل إمالة كبرى من النصف الأول من القرآن الكريم، أتينا على الإحاطة بها وبسطها وردها إلى ما ذكرناه قبل ذلك مما اتفق بشأنه من تلك العلل. وقد تبيّن بجلاء أن العلة الغالبة من ضمن ما ذكر في إمالة الألف خاصة هي كون هذه الألف منقلبة عن الياء، سواء ما تطرف منها كأحيى، واشترى، ورأى، وأدرى، ومجرى، ورؤيى، ويلقى، ونأى، وأنسى، أو ما ورد منها عينا لفعل كُسرت فاؤه مع تاء الضمير وحذفت عينه كزاد. وقد أخذت علة الشبه وعلة مجاورة الكسر حظهما حيث جاءا بعد ما كان أصله ياء من تلك الألفات.

* * *

(١) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص٢٢٦، وإعراب القراءات: ١/ ٤٠٠.

## المبحث الثاني : الإمالة الصّغرى والفتح

### أولا : الإمالة الصغرى

سبقت الإشارة إلى تعريف الإمالة الصغرى كدرجة ثانية من الإمالة. ويكثر الإشارة إليها عند علماء القراءات بعبارة «بين بين»، ويعنون بذلك أن النطق بالألف أو الفتحة يكون فيه اللسان في وضع وسط بين وضع الفتح المطلق ووضع الإمالة الكبرى.

والواقع أنه لا يمكن تحديد درجة الإمالة الصغرى بشكل دقيق، وكذلك هو حال الإمالة الكبرى، ومع ذلك فإنه يمكن أن نحدد ذلك بشكل تقريبي كما يأتي:

لنفرض مثلا أن الضم والكسر على طرفي نقيض، أي أنهما رأس خط مستقيم وأن الفتح وسط بين ذلك، أي أنه رأس خط مستقيم عمودي على خطّ الضم والكسر، وهو ما يعني أن الفتح والكسر يمثلان طرفين لزاوية قائمة بدايتها عند الفتح ونهايتها عند الكسر. وعليه فإن الإمالة الكبرى لابد أن تكون أقل من ٩٠° درجة لأنها إذا تطابقت مع الكسر صارت قلبا، وذلك محال، وإنما سمّاها بعضهم «كسرا» – كما أشرنا إلى ذلك في تعريفها – من باب أنها إليه أقرب لكنها لم تبلغه، وعليه يمكن أن نحدد درجتها بـ ٨٠° درجة تقريبا ويرمز لها بالرمز الدولي "e" [١] وتكون الإمالة الصغرى عند وسط المنحنى الممتد بين درجة الفتح (٠° درجة) ودرجة الإمالة الكبرى (٨٠° درجة)، وهو ما يمثل الدرجة ٤٠° تقريبا. ويمكن تحديد ذلك على شكل بياني كالآتي:

---

(١) راجع: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص٤٤ .

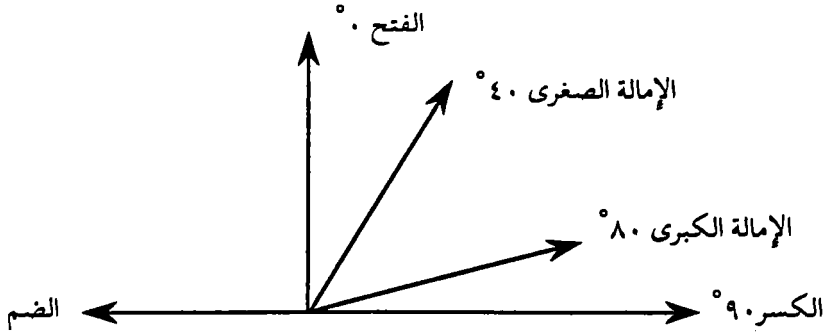


فالإمالة الصغرى – كما يشير إلى ذلك الشكل – هي الانحراف أو الميل بالفتحة نحو الكسرة أو بالألف نحو الياء بلغ نصف درجة انحرافها عند الانتقال من الفتح إلى الإمالة الكبرى، وهو وضع يجعل الصائت المنطوق به مزيجا من الفتح والكسر في إمالة الفتحة ومزيجا من الألف والياء في إمالة الألف، وقد رمزلها بعض الدارسين بالرمز "E"(١).

يهمنا كثيرا هنا أن نؤكد على أن هذا الوضع كان الهدف منه هو التخفيف في النطق من غير مبالغة، وكذلك هو هدف الإمالة الكبرى وإن كانت درجتها تعدل ضعفي درجة الإمالة الصغرى. كذلك فإن الإمالة الصغرى إنّمَا أسباب اللجوء إليها هي الأسباب نفسها التي لأجلها كانت الإمالة الكبرى.

هذا النوع من الإمالة اختاره الإمام نافع مذهبا له فاشتهر به. يدل على ذلك أنه ما من قراءة لألف أو فتحة بالإمالة الصغرى قد رُوِيَتْ إلا كان له تفرّدٌ فيها أوْ كَانَ هو رأسا في ذلك وغيره معطوفا عليه تابعا له. ذلك ما يمكن ملاحظته أو استخلاصه من مجموع ما قرئ بالإمالة الصغرى في النصف الأول من القرآن الكريم، وهو الأحرف المذكورة في الجدول رقم ٥؛ فقد انفرد نافع بقراءة أكثرها منتحيًا بالألف بين بين، وذلك في كل من: الحرف رقم ١ (فزادهم) والحرف رقم ٣ (بالهدى) والحرف رقم

(١) انظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية: ص٤٤ .

٦ (أسارى) والحرف رقم ١٣ (رأى). وقد وافقه بعض القراء في إمالة الألف إمالة صغرى في ثلاثة أحرف هي: الحرف رقم ٥ (فأحياكم) وافقه في إمالة الألف بعد الياء كل من الكسائي وأبي عمرو، والحرف رقم ٩ (التوراة) وافقه في إمالة الألف بعد الراء إمالة صغرى حمزة، والحرف رقم ١١ (للأبرار) أمال الألف الفاصلة بين الراءين معه كل من حمزة وأبي عمرو وابن عامر والكسائي، وأمال الأربعةُ كلَّ ألف بين راءين، والراء الثانية مكسورة[١].

إن مذهب نافع بصفة عامة يقوم على قراءة الألف التي أصلها ياء – وهي المعروفة عند القراء بذوات الياء – من الأسماء والأفعال وما شُبّه بذلك فحمل محمله بين الفتح والإمالة الكبرى. وقد أكد ابن مجاهد على ذلك في مواضع عدة من كتاب «السّبعة» من ذلك ما قاله في معرض حديثه عن الخلاف في قراءة الحرف رقم ٣: «كان نافع لا يفتح ذوات الياء ولا يكسر، مثل قوله: الهدى والهوى والعمى واستوى وأعطى وأكدى، وما أشبه ذلك، كانت قراءته وسطا في ذلك كلّه. وكذلك: يحيى وموسى وعيسى والأنثى والليسرى وللعسرى ورأى ونأى»[٢].

كما كان نافع يجعل الألف بين بين إذا كان أصلها ياء واقعة عينا للكلمة وكذا ما كان أصله واوا إذا كان يُحذف مع تاء الضمير، وهو ما نبّه عليه ابن مجاهد عند إشارته إلى قراءة نافع للحرف رقم ١ حيث قال: «وكذلك أخوات فزادهم لا مفتوح ولا مكسور».[٣] وهذا يعني أن ما كان الإمام حمزة يقرأه بالإمالة الكبرى كان الإمام نافع يقرأه بالإمالة الصغرى. من ذلك: شاء وجاء وخاب وطاب وضاق وخاف وحاق[٤]. وقد حمل ورش ذلك عنه وأذاعه.

والواقع أن اختيار نافع للقراءة بالإمالة الصغرى فيما ذُكر من أحرف مذهب يعتمد بالأساس على ما هو شائع مأخوذ به عند المسلمين من أن خير الأمور أوسطها،

---

(١) انظر: السبعة: ص٢٢٢ . (٢) السبعة: ص١٤٥ . (٣) السبعة: ص١٤٢ .
(٤) انظر: السبعة، ص١٤١ . والتسيير في القراءات السبع: ص٤٨ . والنشر: ٢/٤٨ .

ولذلك وجدت بعض اللغويين يتخذ ذلك حجة لا ختيار قراءة نافع؛ قال ابن خالويه في الاحتجاج لقراءة نافع ألفَ «رأى» بين الفتح والإمالة الكبرى: «والحجة لمن قرأها بين بين أنه عدل بين اللّفظيْن، وأخذ بأوسط اللّغتيْن»[1].

**ثانيا : الفتح**

الفتح في اللغة نقيض الإغلاق. وهو في الاصطلاح ضد الإمالة، إذ يعني النطق بالصوت مع فتح الفم، وهو لذلك حركة من الحركات تقابل الكسر والضم استمدت معناها من فتح الممر الهوائي عند الحلق والشفتين.

وعرّفه ابن الجزري فقال: هو «عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة، وَحَدُّهُ أنْ يُؤتى به على مقدار انفتاح الفم، مثاله قال تُرَكّبُ صوتَ الألف على فتحة القاف، وهي فتحة خالصة لا حَظَّ للكسر فيها، معترضة على مخرج القاف اعتراضا. وحقيقته أنْ ينفتح الفم بالنطق بقال ونظيره كانفتاح الفم في كان ونظيره»[2].

يطلق عليه القدماء من اللغويين وعلماء القراءات أكثر من اسم فَيُسَمُّونَه أحيانا الفتح وأحيانا التفخيم وأحيانا النصب[3]. والأنسب تسميته بالفتح لـمَا وَضُح من معنى ذلك أو التفخيم إذا كان المراد الانتحاء بالألف نحو الضم مبالغة في الفتح كما هو الحال في نطْقنا للصلاة والزكاة والحياة[4]. أما تسميته نصبًا فمن النصب في النحو الذي هو نظير الفتح في البناء[5]. وقد غلب تسميته بهذا الاسم عند سيبويه[6].

قسم ابن الجزري الفتح إلى نوعين: فتح شديد، وفتح متوسط، «فالشديد هو

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص١٤٢ . (٢) التمهيد في علم التجويد: ص٧١ ، ٧٢ .
(٣) انظر: النشر: ٢/ ٢٩ . (٤) انظر: لسان العرب: ٥/ ٣٣٦٢، مادة: فخم.
(٥) انظر المرجع نفسه: ٦/ ٤٤٣٧، مادة: نصب.
(٦) انظر: كتاب سيبويه: ٤/ ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٣ .

نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف [الملفوظ به]»[1] وهو منعدم – عنده – في لغة العرب، لا يكون في الأصل إلا في نطق الأعاجم. «والفتح المتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة (أي الصغرى)»[2]. ذلك هو المعروف الذي يخصونه بلفظ الترقيق.

وكيفما كان نوع الفتح، فإن ذلك لم يكن موضع خلاف كبير بين العلماء أو الدارسين، إنما الخلاف كان في نظرتهم إلى الفتح مقابل الإمالة: أيهما الأصل وأيهما الفرع؟ «فذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر... وقال آخرون: إن الفتح هو الأصل وإن الإمالة فرع بدليل أن الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب، فإنْ فُقِدَ سببٌ منها لزم الفتح، وإن وُجد شيءٌ منها جاز الفتح والإمالة»[3]. ومن ثم كان الفتح أعم في كلام العرب فكل ممال يجوز فتحه وليس كل مفتوح تجوز إمالته.

على كل حال لا يهمنا كثيرا ما وُجد من خلاف في هذا الأمر، ونحن نميل إلى القول بأصلية الفتح وأسبقيته على الإمالة. وإنا ليهمنا أكثر في هذا المقام أن نقف على ما تعلل به مَنْ قرأ بالفتح في مقابل مَنْ قرأ بالإمالة، وذلك فيما ورد من الأحرف المذكورة.

في الواقع، إن الدارسين وقبلهم العلماء لم يهتموا كثيرا بالإحالة على الأسباب التي لأجلها اختار بعض القراء الفتح كاهتمامهم بإبراز أسباب الإمالة، لا لشيء إلا لكون أكثرهم كانوا ينظرون إلى أن قراءة الفتح هي القراءة الطبيعية التي اعتاد عليها عامة المسلمين، أو أنها هي الأصل الذي يرونه، وأن الفتحة هي الحركة الأخف على اللسان العربي.

إن نظرة في الجدول رقم ٥ تبيّن بوضوح أن نسبة الفتح المقروء به أعلى بكثير

---

(١) النشر: ٢/٢٩، ٣٠.  (٢) النشر: ٢/٣٠.  (٣) النشر: ٢/٣٢.

من نسبة الإمالة بدرجتيْها الكبرى والصغرى معًا، فقد بلغت نسبة الفتح في الأحرف الثلاثة والعشرين (٢٣) المذكورة ٦٠٪ تقريبا، في حين بلغت الإمالة بدرجتيْها ٤٠٪ تقريبا، وذلك بناء على أن مجموع نقاط الفتح والإمالة في الأحرف المذكورة عند القراء السبعة قد بلغ ١٥٠ نقطة تقريبا منها ٩٠ نقطة تقريبا للفتح وحده، و٦٠ نقطة تقريبا للإمالة الكبرى والصغرى معًا.

إن أهم ما تدل عليه هذه المعطيات هو أن لغة الفتح في قراءة القرآن غالبة على لغة الإمالة، وذلك راجع لأسباب لغوية بحتة بالدرجة الأولى، يأتي في مقدمتها كون الفتح هو الأصل الغالب في لغات العرب.

وربما كان لأسباب أخرى عقائدية أو قبلية نصيبها في هذه الغلبة، ونعني بذلك على وجه الخصوص ما كان للرسول ﷺ من منزلة لدى مجموع المسلمين والقراء منهم بخاصة، فكما أنه فوق كل الناس منزلة، فإن لغته القرشية الحجازية الخالية من الإمالة هي أيضا فوق كل اللغات.

ومعلوم أن قريشا كانت أهم القبائل الحجازية والعربية على الإطلاق، ومن ثم فقد كانت لغتها لها التقدمة على غيرها خاصة فيما كانت له صلة بالنص القرآني[١]. فوجدّت القراء لذلك أكثر ميْلا إليها.

يمكن إذًا الاستناد إلى غلبة الفتح وخفته على تبرير غلبته في قراءة القرآن، حتى أن بعض الدارسين ذهب إلى القول أن الفتحة أخف حتى من السكون أي من اللاحركة[٢]. غير أن بعض العلماء أو القراء تميزوا بالإضافة إلى ذلك بعلل خاصة يمكن إيجازها فيما يلي:

---

(١) يشيع في الأثر أن القرآن نزل بلغة قريش، وهو ما اعتمده الخليفة عثمان – عند كتابة المصاحف – فيما اختلف فيه. راجع «جمع عثمان» للقرآن في الباب الأول.

(٢) انظر: إحياء النحو، لإبراهيم مصطفى. الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٢، ص٨١.

أ - **علة الأصل**: اشتهر في الإحالة عليها ابن خالويه. والأصل عنده نوعان:

١ - الأصل اللغوي: وقد استند إليه في التعليل لمن قرأ بالفتح في الحرف رقم ٨ المتمثل في «مرضات» فقال بعد أن ذكر قراءة الكسائي للألف الممالة: «وفخمها الباقون، والحجة لهم أن الألف منقلبة من واو، وأصلها مَرْضَوَةٌ من الرضوان، فقلبت الواو ألفًا لتحريكها وانفتاح ما قبلها، فكان التفخيم أولى بها من الإمالة»(١).

٢ - اعتباره الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه، وقد استند إلى هذا الأصل في التعليل لقراءة أحرف كثيرة بالفتح منها أحرف ذكرناها وهي الحاملة للأرقام: ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢١، فإن تعليله في هذه لا يخلو من عبارة «فالحجة لمن قرأه بالتفخيم أنه أراد أن يأتي به على أصل الكلام» أو ما هو في معنى ذلك(٢).

ب - **علة الوصل**: وهي العلة التي لأجلها قرأ أبو عمرو بن العلاء أحرفا كثيرة في القرآن بالفتح خاصة منها ما كان آخره ألفا أصلها ياء. فإن أبا عمرو يجعله بين الفتح والإمالة إذا كان رأس آية «فإذا لم يكن رأس آية فتح مثل ﴿قَضَىٰ أَجَلاً﴾ [الأنعام: ٢] و﴿وَالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦، ١٥٩، ١٧٥، ١٨٥] و﴿اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] و﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٢] و﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] و﴿فَأَحْيَا﴾ [البقرة: ١٦٤] فإنه بالفتح كلّه»(٣).

جـ - **عِلَّتَا التكرير والاستعلاء**: ذكرنا في بداية هذا الفصل أن الراء المكسورة تجوز إمالة الفتحة السابقة عليها بشروط سبقت الإشارة إليها، غير أن الراء التي تكون الألف مدا لها يمتنع إمالتها لأن التكرير الذي فيها يمنع ذلك(٤). وبتكررها هي يتكرر فتحها فيقوى، فإذا كان ذلك الفتح عبارة عن حركة طويلة (ألف)

---

(١) الحجة في القراءات السبع، ص٩٥.

(٢) انظر: الحجة في القراءات السبع: ص١٠٦، ١٤٤، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ٢٢٠.

(٣) السبعة في القراءات، ص١٤٥ وانظر: ص١٥١.

(٤) انظر: الحجة في علل القراءات السبع: ٢/٣٤٤، وكتاب سيبويه: ٤/١٣٦.

تضاعفت قوته فيمنعه ذلك من أن يميل نحو الكسر. ومن أمثلة ما كانت علة فتحه تكرير الراء قراءة ابن كثير وعاصم وابن عامر في الحرف رقم ٩ المتمثل في «التوراة».

أما حروف الاستعلاء (خ، غ، ق، ص، ض، ط، ظ) فإنها عند اللغويين تُعدُّ أقوى مُضْعِفات الإمالة، بل هي مانعة لها موجبة للفتح – إلا ما شذّ من أحرف[١] – خاصة إذا كانت الألف مدّا لأحدها أو كان حرف الاستعلاء مباشرا لها، وذلك لأن الألف التي أميلت نحو الأعلى يكون من الصعوبة بعد ذلك أن نميلها نحو الأسفل. قال سيبويه: «وإنما مَنَعَتْ هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها»[٢]. ومن أمثلة ما كانت علة فتحه اجتماع الألف مع حروف الاستعلاء قراءة عامة القراء في الحرف رقم ١٠ المتمثل في «تقاة» وقراءتهم في الحرف رقم ٢٠ المتمثل في «يلقاه»، فقد اجتمعت القاف فيهما مع الألف بتقديم فغلبت قراءتهما بالفتح، واختار فيهما حمزة والكسائي الإمالة، وقد شذّ ذلك النحويون[٣]. وإن الإمالة لتغلب على الألف إذا كانت مع حروف مستفلة، مثل ألف مساجد[٤].

د – **علة القياس**: استند إليها بعضهم، من ذلك ما ذكره ابن خالويه في علة تفخيم الألف من «تقاة» فهي عنده مقيسة على غيرها كـ«قضاة» و«رماة»؛ ذلك لأن «لفظ الياء قد زال بانقلابها فزال حكمها – معه – كما قالوا: قضاة ورماة بالتفخيم»[٥].

وردَّ الأزهري إلى هذه العلة قراءة الفتح في «ضعافًا خافوا» فقال: «الإمالة فيهما غير قوية عند النحويين فلا يُقْرآن إلا بالتفخيم»[٦]. أي أن النحويين، وهم أهل القياس، لا يجيزون غير الفتح في ذلك حملا على ما هو جار عندهم في العربية.

---

(١) راجع: كتاب سيبويه: ٤/١٣٤.
(٢) نفسه: ٤/١٢٩.
(٣) انظر: كتاب سيبويه: ٤/١٣٤.
(٤) نفسه: ٤/١٢٩.
(٥) الحجة في القراءات السبع: ص١٠٧.
(٦) معاني القراءات: ١/٢٩٢.

هـ - **علة أفصح اللغات**: وهي العلة التي عَوَّل عليها أبو منصور الأزهري في تفضيله لقراءة الفتح على قراءة الإمالة في بعض الأحرف، من ذلك الحرف رقم ١٥ المتمثل في «هار» حيث يرى أن الإمالة والفتح فيه «هما لغتان، والتفخيم أفصح اللغتيْن»[١].

هذا كل ما أمكننا الإحاطة به بخصوص الإمالة والفتح وعلل القراءة بهما، ولولا أننا كنا نريد الإيجاز لطال مقامنا في ذلك أكثر. وأنت ترى في النهاية أنه إذا كان الفتح هو اللغة الأفصح الغالبة، فإن الإمالة لغة فصيحة لا يخلو سبب اللجوء إليها من أن يكون طلب الخفة أو العمل على الانسجام الصوتي، هذا الانسجام الذي نجد له منزلة خاصة في الفصل الآتي.

---

(١) معاني القراءات: ١/٤٦٦.